

## فرعون خالد دون إنجازات تؤهله للخلود

توت عنخ آمون

ولع يتحول إلى أسطورة عالمية بعد 33 قرنا

مصطفى عبيد  
كاتب مصري

● ولع الغرب بالحضارة المصرية القديمة وشغفه بانثارها وكنوزها وملوكها يبقى عظيما، غير أن ذلك الولع، تجاه الفرعون الشاب تحديدا، غير عادي، وهو ما تظن إليه المسؤولون فاختاروه سفيرا للأثار المصرية في العالم.

● الحضور الأسطوري للزوار أمام صالة عرض سانتشي بلندن فور افتتاح معرضه مؤخرا، لم يكن مفاجئا، حيث تمددت طوابير الزوار لمشاهدة 166 قطعة من مقبرة توت عنخ آمون.

«الخلود يلتصق بالموت». تلك مقولة الأديب التشيكي ميلان كونديرا المرسومة بتفاصيل خلابة في روايته التي تحمل الاسم نفسه، وحازت جوائز عالمية واعتبرها البعض رواية القرن، إذ يمكن للمرء أن يضع حدا لحياته لكنه لا يستطيع أن يضع حدا لخلوده. فخلود الإنسان ليس من صنعه، ولو حاول.

تشاطرك الفكرة وانت تتامل خالدين كُفرا في تاريخ البشرية لم يبذلوا جهدا ليكونوا خالدين. ربما لم يفكروا أو يخطوا أو يقدموا خلال حياتهم بما يمثل عملا استثنائيا يستحق الخلود. لا هم أبطال مغاوير أو فاتحون عظام أو مخترعون أفاذ أو أدباء مبهرون، لكنهم خلدوا نتيجة نظرة الناس أو تصورات الآخرين عنهم.

يمكن القول أن الفرعون الشاب توت عنخ آمون يمثل نموذجا مثاليا لهؤلاء، فالرجل لم يكرز مجدا عظيما بين ملوك الحضارة المصرية القديمة. لا هو رمسيس الثاني الذي حكم مصر 67 عاما وحقق انتصارات عسكرية كبرى، ولا هو الملك أحسن الذي نجح في إنهاء احتلال الهكسوس لمصر بعد احتلال امتد لأكثر من مئة عام.

**اسم توت عنخ آمون يعني باللغة المصرية القديمة الصورة الحقيقية للإله، هو الأشهر والأكثر شعبية لدى الناس من مختلف الجنسيات، حتى أنك إن كتبت اسمه باللغة الإنكليزية على محرك البحث «غوغل» لحصلت على 7 ملايين و220 ألف نتيجة على الفور. أما إن بحثت عنه باللغة العربية فستجد لديك 2 مليون و800 ألف نتيجة**

وأشارت نتيجة الفحص إلى أن توت كان مصابا بمرض نادر منذ الطفولة يجعله قعيدا، واستدل حواس برسومات للفرعون وهو يجلس في عربة عسكرية موجها السهام إلى الأعداء بدلا من تصويره واقفا مثل باقي الفرعاة في نقوشهم ليؤكد صحة ما ذهب إليه، فضلا عن قوله أن مقتنيات مقبرة الفرعون الصغير ضمت عددا ضخما من العصي التي كان يستند عليها خلال سيره، رغم صغر سنه.

ثمة قصة أخرى ساهمت في أسطرة الفرعون الصغير الذي أثبتت تحليلات الحمض النووي الحديثة أنه ابن إخناتون، ونكرها كاتبان بريطانيان هما أندرو كولينز وكريس أوجيلي في كتاب حمل عنوان «توت عنخ آمون: مؤامرة الخروج»، ونكرا أن للسورد كارنافون وهوارد كارتر كتما سرا خاصا ببرديات معينة وجدت في المقبرة تنسف قصة الخروج اليهودي من مصر، حيث

تثبت أن الذين خرجوا كانوا بعض المؤمنين بالإله الواحد من أتباع إخناتون، وليسو قوم النبي موسى.

وضع الكتاب فرضيته على موقف بسيط عبارة عن مشادة كلامية بين كارتر ومسؤولين بالقنصلية البريطانية في القاهرة، قال خلالها إنه يهددهم ببرديات تحكي تفاصيل خروج المصريين المؤمنين بإخناتون من مصر بالطريقة ذاتها التي ذكرتها الرواية اليهودية عن خروجهم. غير أن تلك الحكاية تدخل في باب استثمار الأسطورة، وهي من الفرضيات غير القائمة على أدلة علمية صحيحة. لكن تبقى حكاية خلود الفرعون الصغير دليلا على صحة فكرة ميلان كونديرا.

بموضوع المقبرة فوجّه المصريون اتهامات عديدة لكارتر واللورد كارنافون بسرقة بعض محتويات المقبرة، وقامت الحكومة وقتها بتعيين حراسة شرطية على المقبرة لحين جرد كافة المكتنيات. بالطبع هناك أسباب أخرى لديوع شهرة توت عنخ آمون، منها ما عرف صحافيا بلعنة الفراعة التي نشأ الحديث عنها بعد الكشف عن المقبرة مباشرة، حيث أظهرت صور المقبرة عند اكتشافها لوحة تضم نقوشا تضمنت عبارات من بينها عبارة تحذيرية تقول «سيضرب الموت بجناحيه الساميين كل من يعكر صفو الملك»، وهي في الغالب عبارة إرهاب للصمص الذين اعتادوا السطو على مقابر الفراعة منذ العصور الأولى.

سأهت وسائل الإعلام الغربية في الاستدلال على صحة التحذير بالربط بين وفاة بعض العمال الذين شاركوا في التنقيب عن المقبرة وبين اللعنة، ولم يلبث أن توفي ممول التنقيب عن المقبرة اللورد كارنافون نفسه بعد أقل من عام من الافتتاح بمرض غريب ونادر ليجد المروجون للفكرة أسانيد واستدلالات

حاول المصريون استثمار الولع بالفرعون وحكاياته، ما دفع عالم المصريات الشهير زاهي حواس إلى يعرض الفرعون على أجهزة الأشعة الحديثة سنة 2005 ويخرج بنظرية مضادة تستبعد اغتيال الفرعون، وتؤكد أن الفتححة الموجودة في الجمجمة في فتحة اعتيادية لصب مواد التحنيط.

حاول المصريون استثمار الولع بالفرعون وحكاياته، ما دفع عالم المصريات الشهير زاهي حواس إلى يعرض الفرعون على أجهزة الأشعة الحديثة سنة 2005 ويخرج بنظرية مضادة تستبعد اغتيال الفرعون، وتؤكد أن الفتححة الموجودة في الجمجمة في فتحة اعتيادية لصب مواد التحنيط.

حاول المصريون استثمار الولع بالفرعون وحكاياته، ما دفع عالم المصريات الشهير زاهي حواس إلى يعرض الفرعون على أجهزة الأشعة الحديثة سنة 2005 ويخرج بنظرية مضادة تستبعد اغتيال الفرعون، وتؤكد أن الفتححة الموجودة في الجمجمة في فتحة اعتيادية لصب مواد التحنيط.

وفخر لبريطانيا ذاتها، نظرا لأن مكتشف المقبرة عالم بريطاني هو هوارد كارتر، يتمويل من اللورد جورج إدوارد ستانفورد المعروف باللورد كارنافون، ما يعني إنجازا حضاريا كبيرا يحسب للبريطانيين في تنافسهم مع الفرنسيين بشأن استقراء واكتشاف الحضارة المصرية القديمة.

سابق للفرنسيين وإن اكتشفوا حجر رشيد خلال الحملة الفرنسية على مصر، ثم تمكن العالم الفرنسي فرانسوا شامبلون من فك رموز اللغة المصرية القديمة من خلال النص المكتوب على حجر رشيد بثلاث لغات إحداها الهيروغليفية.

يقول وسيم السيسى الباحث في المصريات «العرب»، إن البريطانيين هنا يحتفلون بإنجاز أحد علمائهم، من خلال احتفالهم بمعرض الفرعون الشاب.

**حكايات اللعنة**

عن قصة الاكتشاف الذي قدّم وروّج في العالم بكثير من التشويق والإثارة، حكى كارتر أنه في يوم 4 نوفمبر 1922 كان يعمل في البئر الغربي بمدينة الأقصر، جنوب مصر، عندما لاحظ وجود قبو غريب عند مدخل مقبرة رمسيس السادس، وهنا توقف وافترض أن هناك مقبرة مخفية أسفلها فأمر عماله، وكانوا جميعا من المصريين، بمواصلة الحفر حتى تمكن في 16 فبراير 1923 من الوصول إلى المقبرة بكامل كنوزها.

طبقا لرواية كارتر نفسه، كانت قدمه أول قدم تخطا عتبة دفن الفرعون الشاب منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة (تاريخ الوفاة 1323 ق.م)، ووجد فيها تابوتا خشبيا كبيرا عليه نقوش مطعمة بالذهب، فرفعه ليجد صندوقا داخله مغطى بنقوش من الذهب حتى وصل إلى الصندوق الحجري الذي كان منحوتا على شكل تمثال لتوت عنخ آمون، وداخله تابوت آخر ذهبي يحتوي على مومياء ملفوفة بكفن شبه مهترئ، وحاول كارتر فصل الكفن، وهو من الكتان الخالص، عن المومياء لكنه فشل، واضطر إلى تقطيع الكفن ليجد أمامه جسدا ممّدا بطول 170 سم بكامل هيئته الرسمية. وقتها سُردت الحكاية بتشويق شديد، وإثارة لافتة حتى تحول الاكتشاف إلى عنوان رئيسي في صحف بريطانيا ومعظم دول العالم، والتقطت صور عديدة للمقبرة، ما أسفر عن اهتمام شعبي في مصر التي كانت خاضعة للاحتلال البريطاني واختلط الحس الوطني

لم يكن مفاجئا ذلك الحضور الأسطوري للزوار أمام صالة عرض سانتشي بالعاصمة البريطانية لندن فور افتتاح معرضه مؤخرا، حيث تمددت طوابير الزوار لانتظارا للدخول لمشاهدة المعرض الذي يضم 166 قطعة من مقبرته، في ظل الإحتفال بمرور 97 عاما على اكتشافها.

بدأ المعرض أولى محطاته في مدينة لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا الأميركية في مارس 2018 وحقق نجاحا مبهرا قبل أن ينتقل إلى باريس في سبتمبر من العام الحالي، ويسجل رقما قياسيا للزوار حيث تجاوز عددهم مليونا و300 ألف زائر، ثم يصل محطته الأخيرة لندن، تمهيدا لعودته في شهر مايو 2020 إلى المتحف المصري الكبير بالجيزة المجاورة للعاصمة القاهرة ليستقر فيه.

ويبدو ولع العالم بالحضارة المصرية القديمة وشغفه بانثارها وكنوزها وملوكها عظيما، غير أن ذلك الولع أكبر من الفرعون الشاب تحديدا، وهو ما فطن إليه المسؤولون فاختاروه سفيرا للأثار المصرية في العالم من خلال معارض خارجية عديدة، بدأت سنة 1961 ونجحت في جذب السياح من مختلف الدول لزيارة الآثار الفرعونية في مصر.

مع أن فكرة معارض الآثار بالخارج لها معارضون كثر من بين المثقفين المصريين، غير أن الآثار الإيجابية لتلك الفكرة جاءت أكبر كثيرا من المخاوف، إذ لا يقتصر الأمر على الحصول على عائدات بقيمة تذاكر الزوار في كل مكان يقام فيه المعرض، وإنما يمتد الأثر لجلب السياح إلى مصر لزيارة باقي الآثار ومعابد متعددة وأهرامات متدرجة ومتاحف تحتوي على آلاف القطع الأثرية القيمة.

يمكن تفسير حالة الشغف بالملك توت عنخ آمون تحديدا بكونه الفرعون الوحيد الذي اكتشفت مقبرته كاملة دون عيب بها، أي نجت من سرقات اللصوص، لتحتل المركز الأول بين المقابر الفرعونية في عدد القطع والمقتنيات، وضمت 358 قطعة من بينها ثلاثة توابيت على هيئة تماثيل للفرعون، أحدها من الذهب الخالص والأخران من الخشب المطعم بالذهب، وعشرات القلائد والخواتم والعصي والتماثيل الصغيرة المبهرة بتصميماتها والوانها الخالبة. يمثل الفرعون الشاب قصة نجاح

الجنسيات حتى أنك إن كتبت اسمه باللغة الإنكليزية على محرك البحث «غوغل» لحصلت على 7 ملايين و220 ألف نتيجة على الفور. أما إن بحثت عنه باللغة العربية فستجد لديك 2 مليون و800 ألف نتيجة.

## خيال أسطوري

ليس مثل تحتمس الثالث الذي انتصر على الأعداء خارج أرضه بعربات حربية جديدة، وبالطبع ليس هو مثل والده إخناتون الذي دعا إلى توحيد الآلهة في إله واحد يُرمز له بقرص الشمس وأسماء أتون.

كان ذكره في التاريخ باهتا وغير فعال، بل إن زمنه كان زمن اضطرابات وفوضى، ولم يحكم طويلا أو يعيش عمرا مديدا. إذ تولى وهو في سن العاشرة، ومات وهو في عمر التاسعة عشر.

ورغم كل ذلك، فإن اسم توت عنخ آمون ويعني باللغة المصرية القديمة الصورة الحقيقية للإله، هو الأشهر والأكثر شعبية لدى الناس من مختلف

الجنسيات حتى أنك إن كتبت اسمه باللغة الإنكليزية على محرك البحث «غوغل» لحصلت على 7 ملايين و220 ألف نتيجة على الفور. أما إن بحثت عنه باللغة العربية فستجد لديك 2 مليون و800 ألف نتيجة.

ليس مثل تحتمس الثالث الذي انتصر على الأعداء خارج أرضه بعربات حربية جديدة، وبالطبع ليس هو مثل والده إخناتون الذي دعا إلى توحيد الآلهة في إله واحد يُرمز له بقرص الشمس وأسماء أتون.

كان ذكره في التاريخ باهتا وغير فعال، بل إن زمنه كان زمن اضطرابات وفوضى، ولم يحكم طويلا أو يعيش عمرا مديدا. إذ تولى وهو في سن العاشرة، ومات وهو في عمر التاسعة عشر.

ورغم كل ذلك، فإن اسم توت عنخ آمون ويعني باللغة المصرية القديمة الصورة الحقيقية للإله، هو الأشهر والأكثر شعبية لدى الناس من مختلف

**شهرة توت عنخ آمون، ترتبط بلعنة الفراعة التي نشأ مقبرته مباشرة، حيث أظهرت صور المقبرة عند اكتشافها لوحات تضم نقوشا تحذيرية عبارات من بينها عبارة تحذيرية تقول «سيضرب الموت بجناحيه السامين كل من يعكر صفو الملك»**

